الفصل الثاني

مناهج العلماء العرب والمسلمين
ما لها وما عليها

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

مناهج العلماء العرب والمسلمين

ما لها وما عليها

لقد ساهم العلماء المسلمون مساهمة كبيرة في المقارنات بين الإسلام واليهودية والنصرانية فكان لكلٍ منهم منهجه وأسلوبه وتحليلاته، ولا شك أن المستوى العقلي الذي تمتع به بعضهم فتح لهم آفاقاً واسعة من العلوم الفلسفية واللغوية والتاريخية. وقد مثل ذلك الفيلسوف ابن حزم الأندلسي الذي تمتع باطلاع ديني وفكري واسع. على أن ذلك لا يقلل من أهمية ما كتبه العلماء الآخرون الذين غلبت عليهم النزعات العاطفية أو الدينية الصرفة.

وفي هذا الإطار لابد لنا أن نطلع على ما أنتجه أهم العلماء المسلمين في مضمار المقارنات، ولعل أهمهم:

1 ـ ابن حزم الأندلسي وكتابه الفصل بين الملل والأهواء والنحل.

2 ـ ابن قيم الجوزية وكتابه هداية الحيارى.

3 ـ السموأل بن يحيى المغربي وكتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود.

4 ـ رحمة الله الهندي وكتابه إظهار الحق.

وسنترك الحديث عن عدد كبير من الكتب التي ظهرت على مدى ألف عام تقريباً ككتاب الملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق للبغدادي وغيرهما، وجميعها ردود على افتراءات اليهود والنصارى التي لحقت بالتوراة والإنجيل ولحقت بالعقيدة الموسوية الصحيحة وكذلك النصرانية في منبعها الأول الذي جاء بها السيد المسيح عليه السلام.

ابن حزم الأندلسي ومنهجه

ابن حزم هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد الذي عرف بابن الحزم الظاهري ولد بقرطبة عام 383هـ ـ 994م، وكان أبوه وزيراً للحاجب المنصور، وفي جو أبيه شب ابن حزم في حياة مترفة، وفي عام 1018م تمكن من العودة إلى مسقط رأسه بعد عدة فتن أطاحت بكثير من الملوك والممالك.

واستقر به المقام بعد عام 1024 فشرع في وضع مؤلفه الديني التاريخي الضخم الفصل في الملل والأهواء والنحل، وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في الفكر العالمي عرض فيه لمختلف الفرق الإسلامية وتعرض لليهودية والنصرانية بنقد واضح وتوفي ابن حزم عام 456هـ.

يقول المحققان الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في طريقة ابن حزم:

ومن خصائص هذا الأسلوب دقته في المناقشة حتى يسر كل مسلك على معارضه ولا يترك له منفذاً ينفذ منه لاستيفاء الحجج العقلية والمنطقية. وقد اتضح ذلك في مناقشته نصوصاً من التوراة والإنجيل وبيان ما فيها من تحريف وخلط، وتجلى ذلك في إظهاره اضطراب التوراة في الحساب والعد، وكذلك الحال بالنسبة للمدن ورؤساء العشائر.

وابن حزم حاد اللسان في مناقشة خصومه يستعمل معهم كلمات جارحة قاسية وتظهر دوماً حدة انفعاله حتى يخرجه الغضب والخنق إلى استعمال هذه الشتائم وتلك الأساليب القاسية العنيفة، وتكثر الجمل الاعتراضية في أسلوبه مما يعوق فهم المعنى أحياناً.

على أية حال فإن كتاب ابن حزم المؤلف من خمسة مجلدات حوى بين دفتيه الكثير من العقائد والفرق، وقد أدخل على أسلوبه أحياناً التحليل الفلسفي.

وقد ناقش في الجزء الأول قول القائلين بأن العالم لم يزل وأنه لا مدبر له (الملحدون والقائلين بأن العالم لم يزل وأن له فاعلاً لم يزل)، ثم تناول فيه النصارى بمذاهبها وتناول مفهوم النبوة والشرائع وتحدث عن الزرداشتية، ثم تناول التوراة

والعقيدة اليهودية وفصل فيها تاريخياً وعقيدياً وتشريعياً. وتناول فيها أيضاً قضية خلق العالم والسموات والأرض وآدم عليه السلام وتناول تحريف التوراة وشخصيات أنبياء بني إسرائيل القدامى والحديثين.

منهج ابن حزم في المناقشة

وقد تناول في الجزء الثاني الأناجيل ومتناقضاتها وناقش فيها شخصية السيد المسيح عليه السلام، حياته وادعاء صلبه ورفعه والحواريين ثم الكلام في النبي يحيى عليه السلام وقد استغرق الحديث عن النصرانية هذا الجزء بكامله.

أما الأجزاء الثلاثة الأخرى فقد تناولت الفرق الإسلامية من قدرية ومرجئة ومعتزلة وبعض القضايا المتعلقة بأمور فلسفية دينية كالإرادة والاستحالة وما شابه ذلك.

وما يهمنا في هذا الإطار هما الجزءان الأول والثاني لأنهما خُصصا لليهودية والنصرانية وهو مجال مقارنة الأديان.

كيف تناول ابن حزم اليهودية؟

في سبيل المقارنة الجادة فقد ذكر الفرق اليهودية السامرية والصدوقية والعنانية والربانية والعيسوية (نسبة إلى أبي عيسى الأصبهاني اليهودي) وقد ذكر بعض الاختلافات بين هذه الفرق. ويأخذ بمناقشة فرق الربانية (أي التلموديين) وهم الكثرة من اليهود، فيدحض مزاعمهم في قضية النبوات والنسخ والمعجزات ومما يلفت النظر أن ابن حزم حين يقارن فإنه يلجأ إلى الآيات القرآنية المتعلقة بالأنبياء والأحداث التي في كتب اليهود، وهذا أقرب إلى مقارنة النص بالنص، ولكن ليس في كل شيء إنما حينما يُوجب ذلك، وحين تفرض المناقشة التي يطرحها. ثم يتناول كتاب التوراة، فيقارن بين التوراة والسامرية والتوراة العبرانية فيناقش ما اتفقتا عليه وما اختلفتا فيه، وينقد بشكل حاد ما ورد فيهما من تخبطات وتناقضات لا تصح مع علم التاريخ ولا مع المنطق العقلي ولا مع الوقائع. ويسير مع التوراة سفراً سفراً حتى ينتهي به المطاف إلى آخر أسفارها.

والواقع أن ابن حزم لم يترك مفصلاً أو قضية ذات أهمية إلا وناقشها ودحض مزاعمها وأبدى قسوة بالغة وكلاماً جارحاً تجاه التلفيقات التي كتبها كتّاب التوراة ويتناول بالنقد التوراة السبعينية (اليونانية) ويقارنها بالعبرانية والسامرية ويصل إلى نتيجة أن كل واحدة تختلف عن الأخرى بعدد الأسفار والقصص والشخصيات والتواريخ وما إلى ذلك.

وفي هذا الجزء يتناول ما قالته التوراة عن الذات الإلهية من تجسيم وتشخيص ووصف بصفات البشر.

منهج ابن حزم في المقارنة

وحين تناول النصرانية راح يقارن بين ما كان عليه اليهود وما أحدثه النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام، ثم تناول قضايا تتعلق بشخص المسيح عليه السلام كإحياء الموتى وشفاء المرضى، ثم تناول الأناجيل وتاريخ تأليفها وما لفها من كذب يخالف المنطق اللغوي والتاريخي والديني.

ثم يناقش مسألة صلب المسيح كما يدعي النصارى، وقيام المسيح وتضارب الأناجيل في ذلك وفقدان الإنجيل الأصلي الذي أُوتي للمسيح، ويرد على من قالوا بألوهية المسيح وتقسيم الإله إلى ثلاثة أقانيم.

ويلجأ إلى الآيات القرآنية في هذا الشأن مدعماً تحليله وشرحه لما ورد في الأناجيل من أمور مخالفة ومبتدعة.

نستخلص من منهج ابن حزم:

1 ـ تناوله لكل القضايا المفصلية في التوراة والإنجيل.

2 ـ يقارن بين كتب التوراة الثلاثة السامرية والعبرية والسبعينية، ثم يقارن ما جاء فيها بالآيات القرآنية الكريمة.

3 ـ يغلب عليه الطابع الفلسفي المنطقي حيث قرع الحجة بالحجة والبرهان.

4 ـ يقترب أحياناً من مقارنة النص بالنص.

5 ـ يستفيد من علم اللغة والتاريخ وعلم منطق الكلام.

6 ـ يدل منهجه على ثقافة واسعة متعمقة لكتاب التوراة وكذلك لكتاب الإنجيل ويظهر أنه غاص في أعماق الكتابيين، وهذا ما جعل مناقشاته تقنع العقل قبل النفس.

ابن القيم الجوزية ومنهجه

شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية إمام علامة معروف، تُوفي سنة 751هـ، وكان كتابه هداية الحيارى مخصصاً للرد على اليهود والنصارى فيما يتعلق بالعقيدتين، وآخر تحقيق لهذا الكتاب صدر عام 2001م ـ 1421هـ وقد حققه أحمد عبد القادر الرفاعي.

يختلف منهج ابن القيم عن منهج ابن حزم اختلافاً جذرياً، فهو في كتابه هداية الحيارى يركز على دراسة التوراة والإنجيل من حيث إيراد البشارات التي تبشر بالنبي محمد ﷺ، فيورد عشرات النصوص التوراتية والإنجيلية التي ترتبط بهذا الشأن.

وفي القسم الثالث من الكتاب يتناول بالدراسة والتحليل أصول التكوين العقائدي لليهود والنصارى، فيتحدث عن تحريف التوراة بالقول والتحريف في البشارات والتبديل باللفظ والمعنى، ثم يتناول بعض التشريعات اليهودية وبعض الادعاءات النصرانية المتعلقة بألوهية المسيح، فيدحض مزاعمهم ويثبت بالحجة القاطعة أكاذيبهم ثم يبين دور زعماء المسيحية الرومانية في التحريف الأكبر الذي أدخل إلى النصرانية، والملفت للنظر أنه يعلق بشكل تحليلي على دور بولس في اختراع دين جديد أطلقوا عليه المسيحية، وجميع ما جاء في أقواله مخالف لأقوال المسيح وحياته البشرية النبوية.

ويقارن بين نسخ التوراة والإنجيل ويبين تناقضاتها وتواريخ كتابتها، ويتناول التوراة السامرية والتوراة العبرانية وما بينهما من تناقض وخلاف. ويستعين بآيات القرآن الكريم الموضحة لموقف الإسلام من تحريف اليهود والنصارى. ومن أهم سمات منهجه أنه يتناول المقاطع التاريخية الموجودة في التوراة فيناقشها ويفند مزاعم أصحابها وتناقضاتها.

غير أن تركيزه كان على مسألة البشارات التي وُجدت في التوراة والإنجيل وهي تبشر بمقدم النبي محمد ﷺ ومدى ما حاول اليهود والنصارى حرفه عن معانيه الصحيحة.

ومما يلفت النظر أن عدداً من العلماء الحديثين ناقشوا مسألة البشارات كما فعل الأقدمون، وأهمهم البروفسور عبد الأحد داود الذي ألف كتاباً خاصاً بتلك البشارات وهو كتاب (محمد في الكتاب المقدس) وقد أصبحت كتب هؤلاء العلماء مراجع أساسية لمن يريد أن يبحث في هذا الموضوع بالذات.

السموأل بن يحيى المغربي ومنهجه

يعتبر السموأل بن يحيى المغربي من أهم العلماء اليهود وكبار رجال الدين فيهم هداه الله إلى الدين الحنيف في أواخر سني حياته، وفي هذه السنين الأخيرة من حياته ألف كتابه المهم غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود.

وقد جمع من العلوم الخاصة بالتوراة والإنجيل ما لم يجمعه الكثير من العلماء فقد عرف التوراة في عمقها وخبر لغتها العبرية وتشريعاتها وتاريخها وتأليفها.

يبدأ السموأل بالحديث عن مسألة النسخ والتبديل والتحريف في كتاب التوراة، ومنذ المقدمة يستخدم أسلوب التساؤل الاستنكاري حول نسخ بعض الأحكام الأساسية في التوراة، ويُظهر فيها قوانين النسخ ونواميسه المتعارف عليها في العقائد والأديان ويظهر على أسلوبه طغيان المناطقة أو علم الكلام الذي كان عند المعتزلة. فناقش مسألة التواتر في الرسالات وأخذ يقيس ما قاله اليهود من تواتر دينهم على الأديان الأخرى وخاصة الإسلام.

ويأخذ بمناقشة بعض أحكام التوراة ويؤكد بطلانها لأن كتبة التوراة أنفسهم أبطلوها فيناقش مسألة الطهارة والتطهير ولا سيما طهارة الحائض ومبالغات اليهود فيها من عندهم دون نص شرعي توراتي.

ثم يناقش بعض العبادات كالصلاة والصيام فيأتي على ذكر نصوص من التوراة لم يتقيدوا بها بل ابتدعوا للصلاة والصيام وجوهاً غير أصيلة في عقيدة

موسى عليه السلام منها مثلاً صيام إحراق بيت المقدس وهو ما ابتدعه اليهود ولم يكن في التوراة، ويورد في كتابه أوجهاً عديدة في نسخ الأحكام التورانية.

ثم يناقشهم بنبوة المسيح عليه السلام ويثبت لهم أنهم كانوا ينتظرونه لكنهم أنكروه وحاربوه.

ثم يناقشهم بنبوة محمد ﷺ ويثبت من خلال تحليله لنص التوراة أنهم ملزمون باتباعه لأن التوراة أشارت إلى ذلك. ويذكر الآيات والعلامات التي في التوراة تدل على نبوة محمد ﷺ، ويعود إلى الجانب التاريخي الذي تحدثت به التوراة وبقرع حججهم من قبله يُسقط كل أقوالهم، ثم يذكر المواضيع التوراتية التي تشير إلى نبوة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويأتي على ذكر الكثير من علامات خروج اليهود عن شريعة الله ودخولهم في الكفر، خاصة فيما فعلوه من قتل لبني دينهم.

ثم يتناول الإجابة عن سؤال في ذكر السبب في تبديل التوراة.

ويعقد فصلاً في سبب عدم اعتراف اليهود بدين الإسلام، وافتراءاتهم على النبي محمد ﷺ.

وأهم من ذلك كله يتحدث عن فرق اليهود وما لكل فرقة من تعاليم، فيتحدث عن فرقة الحاخامات ممن يسمون بالتلموديين وكذلك يتحدث عن القرائيين العنانيين ويُنكر على المتشددين منهم معاملتهم السيئة لإخوانهم من بقية الطوائف اليهودية وفي خاتمة كتابه يبين منهجه العقلي بقوله:

(وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذهب الموروث عن السلف وأصل اتباع الأنبياء مما دعا إليه العقل فإن تحكيم العقل على جميع ذلك واجب، وإذا نحن حكمنا بالعقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته بل بمجرد كونه مأخوذاً عن السلف).

وبذلك يطرح السموأل مسألة هامة: وهي أن العقل هو الموصل إلى الحقائق وليس كل ما نُقل عن السلف صحيح إلا إذا دُعّم بموافقة العقل عليه.

ومن أهم عناصر منهجه أنه يورد النصوص التوراتية باللغة العبرية وبالخط العربي، ثم يفسر هذه النصوص مترجماً إياها إلى العربية حتى لا تبقى غامضة على القارئ.

وبشكل عام فإنه لم يتعرض إلى مقارنات دينية بين عقيدتين إنما أراد من كتابه الرد على أصحاب التوراة وما زوروه من أحكام وتشريعات وعبادات وتنبؤات خاصة بالنبي محمد ﷺ، وهذا يذكرنا بمنهج الشيخ الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه هداية الحيارى.

رحمة الله الهندي وكتابه إظهار الحق

بدأت قصة كتاب إظهار الحق لرحمة الله خليل الرحمن الهندي منذ حوالي مئة وخمسين عاماً عندما جرت مناظرات حول التوراة والإنجيل بينه وبين القسيس فندر ومجموعة من القساوسة الذين نشروا مجموعة من الكتب تطعن في الإسلام وتجرحه، وذلك في الهند عندما كانت تحت الاحتلال البريطاني.

وجرت المناظرات في مسألتي النسخ والتحريف وكانت الغلبة فيها لرحمة الله الهندي فامتنع القس عن متابعة المناظرات، وكان قد سجل المناظرات وحضرها المترجم الثاني للدولة الإنجليزية عبدالله الهندي باللغة الأوردية ثم ترجمها الأستاذ رفاعي الخولي. وبعد فترة راح الشيخ رحمة الله الهندي يناقش بقية المسائل التي لم تجر حولها مناظرات فخرج كتابه إظهار الحق في أبواب ستة، وقد طبعت الزيادات في الأستانة (أسطنبول) ولم تُلحق بالكتاب الأصلي إظهار الحق.

يأتي كتاب إظهار الحق في خمسة أبواب، تناول في الأول كتب العهد القديم والجديد وبين أسماءها وافتقاد أهلها للسند المتصل والاختلاف والأغلاط في هذه الكتب واستبعاد أن هذه الكتب منزلة من الخالق. وتناول في الباب الثاني إثبات التحريف، ومنه التحريف اللفظي بالتبديل والزيادة والنقصان، وفي الباب الثالث تناول إثبات النسخ، فأبطل التثليث بالبراهين العقلية، وأبطله من خلال أقوال المسيح عليه السلام ثم أبطل الألوهية بالحجج الدامغة، أما الباب الخامس فتناول فيه الرد

على القساوسة وأثبت أن القرآن كلام الله، ودافع عن صحة الأحاديث النبوية، ثم دفع شبهات القسيسين على الحديث.

منهج رحمة الله الهندي:

يسجل له الكتاب ـ إظهار الحق ـ اطلاعاً واسعاً وعميقاً على كتب اليهود والنصارى فلا يترك شاردة ولا واردة إلا ويورد نصها ويرد عليها... ويناقش سند الأسفار التوراتية والإنجيلية سفراً سفراً. ويبين بالأدلة العقلية والتحليلية أن هذه الأسفار مقطوعة السند. وعندما تنسب إلى أصحابها فإن ذلك يعني أنها من تأليفهم، ثم يتناول ضياع النسخ الأصلية لبعض الأسفار في عهد يوشيا بن آمون. ويؤكد رحمة الله الهندي قطعاً أن كتاب التوراة اخترعه عزرا الكاتب وليس هو الكتاب الذي كان بين يدي موسى عليه السلام، ويحلل الظواهر التاريخية الموجودة في التوراة كحادثة الخروج وأعداد بني إسرائيل المتوهمة من قبل كاتب ومدون التوراة. ويناقش مسألة تدوين التوراة بعد موت النبي موسى عليه السلام بـ 700 عام فيرى أن وقوع الاختلاف في اللسان بحسب اختلاف الزمان بديهي. ثم يتعرض لكتابة أسفار التوراة سفراً سفراً ويبين أن تدوينها جاء حسب الزمن التاريخي لاحقاً على ما أُنزل على موسى بمئات السنين فكيف نعتبر هذه الأسفار مقدسة ومنزلة من الله، ويناقش مسألة نسخ الأحكام في التشريع التوراتي فيرى أن النسخ ظل يقع فيها يوماً بعد يوم.

ويناقش الأناجيل وما طرأ عليها من تبديل وتحريف، ثم يناقش القضايا الأساسية في العقيدة النصرانية كمسألة الألوهية، فيأتي بالأدلة العقلية الرافضة لألوهية المسيح ثم يأتي بأقوال المسيح التي تنص على عدم ألوهية المسيح.

ويكرس القسم الأكبر من الجزء الثاني في الكتاب للرد على شبهات القساوسة والافتراءات حول القرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ، ويعرج على قصة البشارة بالنبي القادم محمد ﷺ ويأتي بنصوص كثيرة من التوراة والإنجيل، وهذه البشارات تكاد تكون نفسها التي طرحها غيره من العلماء أمثال ابن حزم وابن القيم والسموأل بن يحيى المغربي.

وما يمتاز بـه رحمـة الله الهنـدي أنـه أظهـر اطلاعـاً واسـعاً ومعمقـاً للتـوراة والإنجيل فلم يترك شاردة أو واردة في الكتابين إلا وناقشهما، ويبدو أنه على اطـلاع واسع جداً لتاريخ اليهود والنصارى ومذاهب وطوائف كل مـن العقيـدتين ويـأتي باستشهادات من القرآن الكريم متى استوجب الحديث الذي يتناوله.

مناهج مقارنة الأديان المعاصرة

في مجمل ما كُتب في العصر الحديث في عالمنا العربي والإسلامي انصب اهتمام الباحثين على دراسة التوراة أو ما يسمى العهد القديم، فكانت مناهجهم أقـرب إلى علم تاريخ الأديان منه إلى علم مقارنة الأديان، وقد يرى كثـير مـن العلـماء أن هـذه المنـاهج أقـرب إلى الدراسـات اللاهوتيـة المنـصبة باتجـاه واحـد وتكـاد تتقـارب الموضوعات التي تناولوها بين كافة الباحثين، فيظهر عليها التكـرار أكثـر ممـا يظهـر عليها الإبداع والتجديد.

ففي مجمل ما كتب نجد أن الباحثين اهتموا بـشكل كبـير بالجانـب التـاريخي لتدوين التوراة، فوقفوا كثيراً عند سفر التكوين أول سفر في التوراة وراحوا ينقدون تأريخ تأليفه ومؤلفيه، وما فيه من تناقضات وأمـور تعـارض التـاريخ وتخـرج عـن الموضوعية التاريخية. وقد انسحب أسلوبهم عـلى بقيـة الأسـفار وخاصـة الأسـفار الخمسة الأولى من التوراة، وهي التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنيـة وقـد أجمع كافة الباحثين على تقسيم كتاب التوراة العبرانية إلى تسعة وثلاثين سـفراً، منهـا أسفار تاريخية، ومنها أسفار شعرية، ومنها أسفار أنبياء خاصين ببني إسرائيـل مثـل أرميا وحزقيال ودانيال وملاخي وحجي وغيرها.

ولعل أقرب المناهج إلى علم مقارنة الأديان ما تناوله الـدكتور محمـد عبـدالله الشرقاوي على الرغم من أنه تناول في منهجه الجانب التاريخي لأسفار التوراة إلا أنه طرح أيضاً مواضيع حساسة وهامة تدخل في صلب علم مقارنة الأديان.

ففي كتابه الأول المعنون في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، يدرس تعريفـاً وجيزاً بأسفار العهد القديم ومخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها، والنقـد العلمـي

لسند العهد القديم والأناجيل والرسائل من انقطاع سندها وتناقض متنها ومكانة الأنبياء في التوراة والقرآن الكريم وملامح الشخصية الإسرائيلية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

ففي ذلك أقرب إلى صب الجهد باتجاه واحد هو أقرب للدراسة النقدية لكتابي التوراة والإنجيل.

ويقول إنه يعتزم أن يدرس في أجزاء أخرى قضايا تتعلق بمقارنة الأديان ومن أهم البحوث المقارنة، الألوهية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، والوحي والنبوة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وفي منحى آخر، فقد اعتمد بعض الباحثين منهج علم مقارنة الأديان من خلال التأثر والتأثير بين العقيدتين اليهودية والنصرانية والعقائد الوثنية ومدى استفادتها من تلك العقائد خاصة ما يتعلق بالذات الإلهية والتجسيد والتجسيم. وقد ركز بعض الباحثين على التأثر والتأثير بين البوذية والنصرانية وكذلك بين البرهمية الهندوسية واليهودية.

فجاءت هذه الاتجاهات جزءاً من علم مقارنة الأديان في أحد الوجوه، وقد رأينا ذلك واضحاً في كتاب العقائد الوثنية في النصرانية للأستاذ عمر التنير، وفي كتاب العقائد الوثنية في اليهودية للدكتور حسن الباش، وكذلك في كتاب المؤثرات الوثنية في اليهودية للكاتب الباحث الدكتور فتحي محمد الزغبي.

وفي منحى آخر، نرى بعض الباحثين يركز على شخصيات الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم والتوراة. وبينوا كيف تناولت التوراة هؤلاء الأنبياء وكيف شوهت شخصياتهم وكيف أنصفهم القرآن الكريم. وقد اعتمد الدكتور الشرقاوي هذا المنهج في جزء بسيط من كتابه الذي أشرنا له (في مقارنة الأديان بحوث ودراسات) وكذلك فقد كرستُ الجزء الأول من كتاب القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان للمقارنة بين الكتابين فيما ورد عن الأنبياء منذ آدم عليه السلام وحتى سليمان عليه السلام وقد ارتبطت هذه المقارنة بما يسمى القصص بين التوراة والقرآن التي

حوت قصص الأنبياء. وقد جاء ذلك في عدد كبير من الكتب من أهمها كتاب المرحوم علي عبد الواحد وفي الأسفار المقدسة قبل الإسلام.

وتلتقي هذه الكتب حول منهج واحد، وهو تشويه التوراة لهؤلاء الأنبياء وإنصافهم والدفاع عنهم في القرآن الكريم. وقد اعتمد هذا المنهج مقارنة النص بالنص، النص التوراتي بالنص القرآني، وتعتبر مقارنة القصص القرآني بالقصص التوراتي وخاصة المرتبطة بالأنبياء من البحوث السهلة في مقارنة الأديان على اعتبار أن النصوص القصصية واضحة المعالم والأحداث.

ومن خلال اطلاعنا على ما أمكن من الكتب التي تناولت اليهودية والنصرانية وبعض عقائد الشرق القديم نستطيع أن نرى أن غالبية الكتب تناولت التوراة واليهودية أكثر من غيرها من العقائد. وفي غالبيتها تناولت بالنقد هذا الكتاب من حيث المحذوف منه، والمحرف. ومن حيث تناقضات تواريخه وشخصياته وطريقة تأليفه.

مناهج الباحثين في الغرب

يركز بعض الباحثين على دور مهم في مقارنة الأديان للعالم اللغوي المعروف ماكس موللر. على الرغم من أنه لم يكن عالماً في مقارنة الأديان إلا أن بعض الأفكار التي طرحها حول هذا الموضوع اعتبرها الكثيرون هامة. بل اعتبرها بعضهم الأساس في علم مقارنة الأديان.

ومن خلال الاطلاع على الدراسات والبحوث التي قدمها موللر نرى أنه تناول ظاهرة الدين عبر التاريخ وما يرتبط بالأساطير.

ومما يمكن الأخذ به من أفكار حول الأديان تقسيمه للديانات الكبرى والصغرى. ففي سنة 1873 ألقى محاضرة في كنيسة وست منستر ذكر فيها أن الديانات الكبرى ست ديانات منها ثلاث ذات رسالة تدعو الناس إلى الدخول فيها وهي الزرادشتية والمسيحية والإسلام، وثلاث ليست بذات رسالة وهي البرهمية والبوذية واليهودية.

وله كما قلنا آراء في أصل الدين والتدين، فهو يرجح أن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول وجلال الأبد الذي ليس له انتهاء، وأنه مثل لهذه الروعة بأعظم ما يراه في الكون وهو الشمس التي تملأ الكون بالضياء، فهي محور الأساطير والعقائد كما ثبت له في المقابلة بين اللغات واللهجات[1].

ومع كل هذا لم يجر موللر مقارنات عقائدية بين الأديان الكبرى، وظلت بحوثه الهامة ترتبط بدراسة أصل الدين والمقارنات بين الأساطير. ويرى بعض الدارسين أن القفزة النوعية في مجال مقارنة الأديان جاءت على يد الباحث اليهودي الألماني (أبراهام جايجر). فهذا الباحث وضع أسساً لمنهج البحث للدين المقارن، وذلك من خلال كتاب له أطلق عليه (ماذا أخذ محمد عن اليهودية) وظهر عام 1902.

لقد وضع جايجر عقيدته اليهودية كمقياس أساسي يقاس عليه غيره وقد وضع ملامح منهج استند على ثلاثة أمور، وهي:

1 ـ أخذُ المتأخر من المتقدم والعكس غير صحيح.

2 ـ لا تجوز المقارنة إلا بين موضوعين متجانسين من زمنين مختلفين وثقافتين مختلفتين (الإسلام واليهودية).

3 ـ لابد من توافر عنصرين أو أكثر للمقارنة.

وقد انصب همّ الباحث على قصص القرآن الكريم في المقام الأول، وعلى التشريع في الدرجة الثانية، مقارنة بالقصص الديني اليهودي (هاجاداه) وبالشريعة اليهودية (هالاخاه) وقد تبع جايجر الباحث الألماني سباير من خلال كتابه الضخم القصص الكتابي في القرآن وبدأت بالتكوين وهو السفر الأول من التوراة وتليه قصة آدم وحواء والنشوء لتنتهي بأقصر القصص.

ومنذ بداية القرن الثامن عشر صبّت حركة الاستشراق جهدها على مهاجمة الإسلام من خلال إرجاعٍ وهي لكل ما جاء في هذا الدين إلى التوراة والتراث اليهودي.

---

(1) عباس العقاد، الله في عقائد الشعوب ص 23.

ويتصدر الدكتور موريس بوكاي علماء الغرب في مقارنة الأديان من خلال كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.

وقد تناول العديد من القضايا العلمية والتاريخية وموافقتها أو عدم موافقتها لكتب القرآن والتوراة والإنجيل.

وتناول أسفار كل من التوراة والإنجيل بالتحليل والنقد العلمي التاريخي.

ففي مقارنته بين القرآن الكريم والتوراة يتناول حادثة الطوفان والخروج ويرى أن هناك نصين توراتيين للطوفان تختلف كل منهما عن الأخرى.

فالرواية اليهودية ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد والرواية الكهنوتية ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، فيرى أن العهد القديم يعطي للطوفان طابعاً عالمياً على حين لا تعطي المصادر الكهنوتية للطوفان تاريخاً. ويقدم القرآن رواية شاملة مختلفة، لكنه يذكر الطوفان كعقاب لجماعة نوح عليه السلام. التوراة تتحدث عن عقاب شامل لكل البشرية بينما يشير القرآن إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة، وعلى ذلك فالقرآن يقدم الطوفان باعتباره عقاباً نزل بشكل خاص على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسي بين الروايتين والقرآن لا يحدد زمن الطوفان على عكس التوراة. وتختلف رواية القرآن عن التوراة فيما يتعلق بالذين حملهم نوح في السفينة. ويقارن الدكتور موريس بوكاي بين روايتي القرآن والتوراة فيما يخص مكوث بني إسرائيل في مصر وخروجهم.

ويرد بوكاي على بعض الباحثين القائلين بتجانس روايتي القرآن والتوراة حول رواية الخلق ويرى أن هذا المفهوم خاطئ فهناك اختلافات جذرية، ففيما يتعلق بمسائل ليست ثانوية مطلقاً من وجهة النظر العلمية نكتشف في القرآن دعاوى لا يجدي البحث عن معادل لها في التوراة، كما أن التوراة من ناحية أخرى تحتوي على معالجات تفصيلية لا معادل لها في القرآن[1].

---

(1) موريس بوكاي ـ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص 157.

ويقول: أيام الخلق الستة في التوراة تعادل الأيام الستة في القرآن ولكن المشكلة في الواقع أكثر تشابكاً وتستحق وقفة عندها.

ويناقش الدكتور بوكاي الاتفاقات الموجودة بين آيات القرآن الكريم وعلم الفلك فيخلص إلى نتيجة ترى أن القرآن لا يخالف المعطيات العلمية بتاتاً، بينما لا يوجد في التوراة ما يوافق النظريات العلمية، إنما هناك الكثير من النصوص التوراتية تناقض كلياً تلك المعطيات العلمية، وهي أقرب إلى التصور الأسطوري المستفيد من أساطير الشعوب القديمة.

وتناول الدكتور موريس بوكاي الأناجيل بالتحليل والنقد العلمي، فعن إنجيل يوحنا يقول: من هو المؤلف؟ المسألة موضوع نقاش طويل.

ويعلق قائلاً: ودون ذكر الافتراضات الأخرى التي قدمها المفسرون فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين والتي أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع تشير هي وحدها إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب[1].

ويورد بوكاي الاختلافات بين الأناجيل، وإزاءها يقول: إذن فمن يجب أن نصدق؟ أنصدق متى أم مرقص أم لوقا أم يوحنا؟

ويعلق بوكاي على إنجيل متى من خلال بعض الوقائع والأقوال المنسوبة للمسيح، فعلى سبيل المثال يقول متى في إنجيله إن المسيح طلب إلى حواريه أن يجتنبوا السامريين، فيقول بوكاي: وذلك مثال جلي بين أمثلة كثيرة على أن المبشرين يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية.

مناهج حديثة في مقارنة الأديان

وحين نراجع بعض الكتابات المعاصرة نرى أنها نحت منحى التركيز على دراسة التوراة والتلمود والأناجيل باعتبارها كتباً دخلها التحريف أو هي تتناقض مع المعطيات التاريخية والآثارية والدينية.

---

(1) موريس بوكاي ـ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص 93.

وقد أصبح الباحثون العرب في هذا المجال بالعشرات، ويبدو واضحاً بشكل جلي أن هم الكتاب والباحثين نسف مقولات التوراة والإنجيل لأن فيها من الثغرات الكثير.

ويبدو أن اتجاهين متناقضين يسودان الكتابات التي تتناول العهدين القديم والحديث.

اتجاه يتناول العهد القديم فيضعه جميعه في جانب السلب، حتى أن الأنبياء الذين عرفتهم الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية أمثال موسى وداود وسليمان وإلياس وزكريا ويحيى وُضعوا في زاوية النقد والشتم والحط من قدرهم، لا لسبب إلا لكونهم أنبياء بني إسرائيل وورد ذكرهم في كتاب التوراة.

واتجاه تناول العهد القديم مستنداً على موقف الإسلام الكلي من الأنبياء فجهد هذا الاتجاه لتخليص الأنبياء هؤلاء مما لحق بهم من أذى توراتي وتشويه متعمد.

ولعل الاتجاه الثاني يمتد إلى الوراء مئات السنين حيث وجدنا من يفعل ذلك أمثال ابن حزم الظاهري الأندلسي، وابن القيم الجوزية وغيرهم. وقد أوردنا ما تناوله علماء هذا الاتجاه في صفحات سابقة.

أما الاتجاه الأول فقد وجدنا أن أصحابه يستندون إلى بعد إيديولوجي يريدون من ورائه إقصاء بني إسرائيل وأنبيائهم كلياً عن التأثير في مجريات الأحداث السابقة، بل وإقصائهم عن المنطقة وجعلهم غرباء بالكلية عن عقائد ومجتمعات المنطقة العربية.

وفي جميع الأحوال فإننا نلاحظ عدم وجود منهج نظري لعلم مقارنة الأديان حتى هذه اللحظة، وكل ما اطلعنا عليه يكاد يكون وجهات نظر دفاعية عن وجهات نظر في مواجهة وجهات نظر أخرى.